الغزو الإيطالي للحبشة – أكتوبر 1935 والصراع الأوربي في فترة ما بين الحربين العالميتين .

د . عبد الماجد يوسف أبو سبيب[1]

أستـــــاذ التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر

جامعة الشارقة

مـــقدمة :-

وفرة المصادر التاريخية المتصلة بتاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، خاصة المصـــادر الوثائقية خلقت إنطباعاً لدى العديد من الباحثين في تاريخ هذه الفترة بأنه لم يعد هنـــاك ما يستدعي البحث والتقصي في سياسات وتوجهات الدول الأوربية خاصة بعد الحرب العالمية الأولى . وقد عبر عن ذلك البروفسر دونالد وات Donald Watt بقولـــه " أصبح في إمكان الباحث المتمكن أن يعيد تركيب مراحل صنع القـــرار والسياســـات الأوربية من خلال دراسة الكم الهائل من المعلومات الوثائقية المتوفرة .. " (1) .

الواقع يقول بغير هذا إذ أن وفرة المعلومات الوثائقية ظلت عاجزة عن مساعدة الباحثين في الإجابة عن العديد من قضايا التاريخ الأوربي الحديـــث والمعـــاصر وظـــل

---

[1] أستاذ سابق بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الخرطوم.

الغموض يكتنف دوافع وأهداف العديد من السياسات والمواقف التي كانت لها أعظم الآثار في تاريخ العالم . ومن ذلك على سبيل المثال فقط : مبررات السياسات التي إتبعتها كل من بريطانيا وفرنسا تجاه ألمانيا بعد عام 1919 . على الأخص دوافع سياسة الترضية Appeasement policy الشهيرة [2] . التي سمحت لألمانيا بالتحلل من إلتزاماتها تجاه معاهدة فرساي لعام 1919 والبدء في تنفيذ مشروعها للهيمنة على أوربا وإقامة النظام الجديد حسب تصورات الحركة النازية The new order . ومن المسائل الغامضة أيضاً سياسات كل من بريطانيا وفرنسا تجاه نزعة التوسع التي تملكت زعماء الفاشية في إيطاليا في ثلاثينيات القرن المنصرم التي أدت بالزعيم الفاشي بنيوتو موسليني إلى القيام بمغامرته الشهيرة لغزو الحبشة في أكتوبر عام 1935 .

موضوع الغزو الإيطالي للحبشة وموقف كل من فرنسا وبريطانيا منه ومدى إرتباط سياسات كل منهما تجاه غزو الحبشة بمصالحهما وعلاقاتهما داخل أوربا ظل من موضوعات البحث التي لم تحظ بإهتمام كبير من قبل الباحثين الأوربيين والأفارقة على حد سواء ، إذ إكتفى معظم الباحثين الذين تعرضوا لهذا الموضوع بذكر الغزو الإيطالي للحبشة وشجبه وبيان ما أحدثه من رد فعل غاضب في أوساط الرأي العام الأوربي وأثر ذلك على الإجراءات التي إتخذتها عصبة الأمم وفشل العصبة في القيام بواجبها في صيانة إستقلال وأمن الشعوب المستضعفة كما نص على ذلك ميثاق العصبة . وبينما تطرق بعض الدارسين للدور الذي لعبته الدبلوماسية الفرنسية خاصة في تشجيع موسليني ومنحه الضوء الأخضر لتنفيذ غزوه للحبشة [3] ظلت أسرار وتفاصيل دور الدبلوماسية الفرنسية في هذا الصدد من الموضوعات التي يلفها الغموض حتى الآن .

من أهم أحداث تاريخ فترة ما بين الحربين العالميتين تلك المحادثات التي أجراها وزير خارجية فرنسا بيير لآفال Pierre Laval مع زعيم الحركة الفاشية الإيطالية بنيتو موسليني في يناير 1935 . لقد ظل موضوع هذه المحادثات غامضاً ومصدراً

للخلاف بين الدارسين حتى الآن إذ لا توجد في المصادر الوثائقية الفرنسية أو الإيطالية أي تفصيلات تذكر ولا تسهم الوثائق كثيراً في كشف الدور الحقيقي الذي لعبه لآفال في أحداث غزو الحبشة في عام 1935 . غير أنه وفي العقد الأخير من القرن المنصرم بدأت تتوافر بعض المصادر الوثائقية التي تسهم في توضيح الإشارات الغامضة لهذه المحادثات من ذلك ما ورد في العديد من الأوراق والمذكرات الخاصة ومن أهمها مذكرات وأوراق البارون بومبيو السيوسي Baron Pompeo Alsoisi مندوب إيطاليا في عصبة الأمم وأوراق ومذكرات إدوارد هيروت Edourad Herriot زعيم الجبهة الإشتراكية الفرنسية وعضو مجلس الوزراء الفرنسي في الفترة 1934 – 1935 ، وأوراق ومذكرات اللورد أفون (أنطوني إيدن) Lord Avon وزير الدولة البريطاني لشئون عصبة الأمم آنذاك ، ومذكرات الكونت شامبرون Charles de Chambrun سفير فرنسا في إيطاليا عام 1935 ، ومذكرات سايمون هوار Simon Hoare وزير الخارجية البريطاني آنذاك وأوراق أليكس ليفر Alix Leever وكيل وزارة الخارجية الفرنسية آنذاك .

حاولت من خلال إعادة دراسة هذه المصادر مع الإستفادة من المعلومات المتوافرة حديثاً إلقاء الضوء على خلفيات الغزو الإيطالي للحبشة الذي لم يكن في رأي سوى تجسيد للتداخل بين الإعتبارات الإستعمارية التقليدية والتوازنات الأوربية وهو وجه من أوجه سلوك الدبلوماسية الأوربية أغفل بصورة شبه كاملة حتى الآن .

(1) القوى الأوربية والقرن الأفريقي حتى الحرب العالمية الأولى :-

افتتان الإيطاليين بالقرن الأفريقي لا يكاد يماثله سوى افتتان البريطانيين بالهند . وقد بدأ افتتان إيطاليا بالقرن الأفريقي منذ ظهور إيطاليا لأول مرة كدولة موحدة في عام 1870 . حينها وفدت إلى سواحل البحر الأحمر بعثة إيطالية صغيرة بقيادة مارشيز

أورازيو أنتينوري Marchese Orazio Antionri واستولت هذه البعثة على ميناء عصب بمباركة الحكومة الإيطالية (4) ومن حينها أصبحت السيطرة الإيطالية على القرن الأفريقي حلما يداعب أخيلة الإيطاليين .

إن دوافع إيطاليا في تأسيس وجود قوى لها في منطقة القرن الأفريقي إرتبطت بطموحات إيطاليا الإمبريالية مثلها في ذلك مثل منافساتها من الدول الأوربية خاصة فرنسا وبريطانيا غير أن إيطاليا كانت أقل من منافستيها حظا من حيث القوة والنفوذ . كان ذلك وضعها حينما بدأت الدول الأوربية اندفاعها وتسابقها من جديد للسيطرة وإقتسام أفريقيا بدءا من سبعينيات القرن التاسع عشر . ووجدت إيطاليا في القرن الأفريقي مرتكزا أكثر جاذبية من الشمال الأفريقي لتحقيق أحلامها في بناء إمبراطورية كبيرة . وقد إستفادت إيطاليا إلى حد كبير في تأسيس نفوذها في القرن الأفريقي في القرن التاسع عشر من التنافس والصراع بين بريطانيا وفرنسا (5) .

بعد انهيار الحكم التركي المصري في السودان وتفكك ما تبقى من الإمبراطورية الخديوية في القرن الأفريقي وجد الإيطاليون فرصتهم- بقبول ضمني من بريطانيا – لتوسيع نفوذهم في المنطقة إنطلاقا من ميناء عصب . فإحتلوا مصوع في يناير عام 1885 . وقد أراد البريطانيون من سكوتهم عن توسع الإيطاليين أن يمنعوا وقوع سواحل البحر الأحمر في يد الفرنسيين ويمنعوا الفرنسيين بالتالي من التوغل إلى حوض النيل (6) .

في عام 1889 عقد الإيطاليون مع منليك ملك الحبشة إتفاقية يتشيالي Ucciali التي سيطر الإيطاليون بموجبها على إريتريا . وقد تمكن الإيطاليون من الاحتفاظ بإريتريا حتى بعد هزيمتهم الساحقة من الأثيوبيين في موقعة عدوة عام 1896 (7) . في الفترة بين عامي 1889 – 1901 تمكن الإيطاليون بواسطة المعاهدات التي عقدوها مع زعماء العشائر المحليين من إنشاء محمية لهم امتدت من رأس قرافي إلى خليج عدن . وفي عام 1902 اعترف سلطان زنجبار بسيطرة الإيطاليين على ميناء

البنادر . وفي عام 1908 وعن طريق إتفاقية ثنائية مع أثيوبيا وسعت إيطاليا من سيطرتها إلى جزء من حوض نهر جوبا . وفي عام 1920 ضمت بريطانيا لإيطاليا مقاطعة جوبا لاند وميناء كسمايو (8) . في هذا الوقت كانت فرنسا المنافس الرئيسي لبريطانيا في السيطرة على أفريقيا ، قد إحتلت في عام 1881 ميناء أوبك Oboch ومدت سيطرتها على تاجورا وجيبوتي في عام 1885 (9) وهو نفس العام الذي وقعت فيه معاهدة برلين التي إتفقت فيها دول أوربا الكبرى على إقتسام أفريقيا فيما بينها بصورة ودية . في عام 1888 توصل البريطانيون والفرنسيون إلى إتفاقية حددت بموجبها مناطق نفوذ كل منهما في الساحل الشرقي لأفريقيا . تخلت بريطانيا بموجب هذه الإتفاقية عن الجزر الواقعة في خليج تاجورا . وكانت بريطاني قد توصلت في عام 1884 لإتفاق مع إيطاليا يقضي بتحديد المحمية البريطانية في الصومال . كذلك عقدت بريطانيا إتفاقاً مماثلاً مع أثيوبيا في عام 1887 إكتمل بموجبه تقسيم الصومال بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأثيوبيا (10) وبالرغم من إشراك أثيوبيا في تقسيم القرن الأفريقي إلى مناطق نفوذ إلا أن الدول الأوربية الثلاث بريطانيا وفرنسا وإيطاليا كانت لكل منها مطامع خاصة في أثيوبيا . لذلك وقعت الدول الثلاث إتفاقاً هاماً بينها في الثالث عشر من ديسمبر عام 1906 بشأن أثيوبيا . أهم ما ورد في هذا الإتفاق – فيما يتعلق بموضوعنا – البند الرابع الذي ينص على أنه وفي حالة الإخلال بالوضع القائم في أثيوبيا آنئذ والذي تعهدت الدول الثلاث بالحفاظ عليه – تقسيم أثيوبيا إلى ثلاث مناطق نفوذ :

1/ تسيطر بريطانيا على منابع النيل وفروعه .

2/ تسيطر فرنسا على المناطق الظهيرة لساحل المحمية الفرنسية في الصومال ومنطقة الحزام اللازم لإنشاء وتشغيل خط سكك حديد أديس أبابا – جيبوتي .

3/ أفردت لإيطاليا السيطرة على المنطقة الظهيرة لممتلكاتها في أريتريا والصومال والشريط الموصل بينهما المار إلى الغرب من أديس أبابا .

ألهت الحكومة البريطانية إرتباطها بهذه الإتفاقية عام 1923 وظلت الإتفاقية بعد ذلك ملزمة لكل من إيطاليا وفرنسا [11] خلال الحرب العالمية الأولى تراجع التنافس الإستعماري وأصبحت ضرورة الإحتفاظ بالتحالف الذي ضم الدول الثلاث ضد ألمانيا وحليفاتها تحتل المركز الأول من إهتمامات وسياسات هذه الدول الثلاث . بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى خرجت الدول الثلاث من الحرب بإهتمامات جديدة متباينة . تراجعت مشاكل أوربا إلى المرتبة الثانية من مراتب إهتمامات بريطانيا حيث عادت مباشرة إلى الإهتمام بشئون إمبراطوريتها العالمية.

(*2*) العلاقات الفرنسية الإيطالية والدبلوماسية الفرنسية تجاه مشروع الغزو الإيطالي للحبشة :-

بالنسبة لفرنسا فإن الحرب العالمية الأولى والمعاهدات التي تمخضت عنها لم تؤد إلى حل لمشكلة الأمن الفرنسي ، خاصة بعد رفض الكونغرس الأمريكي الموافقة على إتفاقية الضمان المقترحة في إتفاقيات فيرساي لعام 1919 . لذلك إتجهت أولويات السياسة الفرنسية إلى تأمين موقف فرنسا الإستراتيجي في أوربا في مقابل ألمانيا . فعملت الدبلوماسية الفرنسية على عزل ألمانيا من بقية الدول الأوربية من ناحية، وبناء أحلاف مناهضة لها في أوربا من ناحية أخرى . وكانت إيطاليا أحد الأهداف المهمة في إستراتيجية فرنسا لعزل ألمانيا .

بالنسبة لإيطاليا فإنها خرجت من الحرب العالمية الأولى بخيبة أمل كبيرة . كانت تأمل كنتيجة لخوضها الحرب إلى جانب الدول المنتصرة أن تكافأ بالسماح لها بتقوية نفوذها في البلقان ، وأن ترحب بها حليفاتها كإحدى دول أوربا العظمى ولكنها لم تجد من فرنسا وبريطانيا إلا الإهمال والإحتقار [12] . فتركز إهتمام الإيطاليين بصفة خاصة بعد تولي الحزب الفاشي الحكم في إيطاليا في عام 1922 على تحقيق طموحات

إيطاليا القومية وذلك بإحتلال مكانتها اللائقة بها كدولة عظمى على حد تعبير موسليني ، وكأنه يربط مباشرة بين تقوية نفوذ إيطاليا الإستعماري وضرورات العظمة المبتغـــاة (13).

في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وحتى عام 1934 حين كان خطـــر الإخلال بالتوازن الأوربي لا يزال بعيداً نسبياً ، كان التنافس بين إيطاليـــا وفرنســـا في أفريقيا وفي البحر المتوسط سبباً رئيساً في توتر العلاقات بينهما وقـــد فشـــلت كـــل المحادثات التي جرت بينهما في هذه الفترة لتسوية أسباب الإحتكاك بينهما في أفريقيـــا والبحر المتوسط (14).

جاء عام 1934 ليشكل نقطة تحول هامة في سياسة كلا البلدين تجاه بعضهما . في يوليو من ذلك العام تكشفت جلياً النزعة التوسعية لدى ساسة ألمانيا مـــن النـــازيين وإصرارهم على التحلل من كل الإلتزامات التي فرضتها عليهم معاهدة فيرساي لعـــام 1919 .

في 25 يوليو من ذلك العام نفذ الحزب النازي في النمسا خطـــة لإحـــداث إنقلاب يتسلم بموجبه السلطة ، ومن ثم يعمل على ضم النمسا إلى ألمانيـــا وقـــد راح ضحية لهذه المحاولة الفاشلة مستشار النمسا دلفوس Dollfuss (15) . وقد أحدثـــت هذه المحاولة ذعراً كبيراً في الأوساط الفرنسية والإيطالية . فبالنسبة لفرنسا أتت محاولـــة الإنقلاب الفاشلة في النمسا تأكيداً لنوايا ألمانيا في إحداث إنقلاب في التوازن القـــائم في أوربا أما بالنسبة لإيطاليا التي بادرت بحشد قواتها على الحدود مع النمسا فقـــد رأت في أحداث النمسا تهديداً مباشراً لها (16) .

كان موسليني يتوقع بوصول النازيين إلى الحكم في ألمانيا أن تتجه سياسة ألمانيـــا للضغط على فرنسا ، عدو ألمانيا التقليدي ، وعلى بولندا التي آلت إليها أجزاء هامة مـــن الأراضي الألمانية كنتيجة لتسويات فيرساي ، ولم يتوقع أن يبادر هتلر بالعمل على ضـــم النمسا . كان موسليني يتطلع إلى أن يلعب دوراً يمسك به خيوط التوازن بـــين ألمانيـــا

وفرنسا فيستفيد من كلا الطرفين . ولكنه فجأة وجد نفسه مواجهاً بوضـــــع جديـــد أحدث إنقلاباً في نظرته لعلاقاته الدولية . كان الخطر النازي على النمسا قـــد جعـــل موسليني في حاجة ماسة لمساندة فرنسا له في مقاومته لأي تغيير في وضع النمسا كدولـة مستقلة ذات سيادة . أصبح موسليني على حد تعبير المؤرخ الإنجليزي تايلرA Taylor J. P . بين يوم وليلة داعية للحفاظ على بنود معاهدات فيرســـاي وداعيـــة للأمـــن الجماعي الأوربي بعد أن كان داعية لمراجعة وإلغاء معاهدات فيرســـــاي (17) . مـــن الواضح الآن ومن خلال الوثائق الحديثة أن أحداث النمسا في يوليو عام 1934 كـــانت سبباً مباشراً في تهيئة المناخ المناسب لوفاق فرنسي إيطالي . ليس فيما يتعلق بسياســـتهما في أوربا فحسب وإنما فيما يتعلق بمصالحهما في أفريقيا أيضـــاً . تخلـــت الدبلوماســـية الفرنسية فجأة عن إحتقارها التقليدي لتطلعات إيطاليا الإستعمارية وذلك نظير العمـــل على أحكام تحالفاتها الإستراتيجية في أوربا بضم إيطاليا لتلك التحالفـــات . موســـليني بدوره وجد في التقارب مع فرنسا فرصة لتدعيم موقفه في أوربا وتحقيـــق طموحاتـــه الوطنية خارجها (18) .

تشير الوثائق الإيطالية الحديثة إلى أن تفكير موسليني في فرض هيمنة إيطاليـــا على أجزاء واسعة من القرن الأفريقي يعود إلى عام 1933 . أي قبل أحداث النمســا في يوليو عام 1934. قبل أحداث النمسا بشهور قليلة بدأ موسليني إتخاذ بعض الإجـراءات الأولية لوضع خطة لتغيير الوضع القائم في أثيوبيا بموجب معاهدة عام 1906 . يشـــير البارون بومبيو اليوسيسي في مذكراته بتاريخ 30 / 6 / 1934 أنه تحدث مع المكتشـــف الإيطالي فرانشيلي Franchelli الذي أطلعه على ما دار في إجتماع عقده مع موســـليني ، وأن موسليني قد كلفه بالعمل فوراً لإعداد خطة لتغيير الوضع القائم في أثيوبيا . وقـــد علق اليوسيسي الذي كان مندوباً لإيطاليا لشئون عصبة الأمم معبراً عن قلقه لفرانشـيلي وعن رأيه في أنه ليس في وسع إيطاليا تغيير الوضع القائم في أثيوبيا دون إعداد كـــاف لذلك في أوربا (19) . يبدو أن سنيور اليوسيسي لم يكن وحـــده معارضـــاً لخطـط

موسليني في أثيوبيا في هذه المرحلة فقد كان العسكريون الإيطاليون يشاركونه الرأي في ضرورة تحييد الدول الأوربية الكبرى قبل الإقدام على أي خطوة في أثيوبيا قد تقود في رأيهم إلى كارثة [20] .

وفقاً لهذه الخطة بدأت إيطاليا في الإعداد لتحييد فرنسا . حينما تولى بيير لآفال Pierre Laval منصب وزير الخارجية في فرنسا بعد إغتيال سلفه لويس بارثو Louis Parthon في أكتوبر عام 1934 ، كانت هناك خطة لزيارة يقوم بها وزير الخارجية الفرنسي إلى روما – توضح الوثائق الخاصة بتلك الفترة أن موسليني أراد إستغلال رغبة فرنسا في تحسين علاقاتها مع إيطاليا كمدخل لمناقشة موضوع الخلافات بين الدولتين في أفريقيا [21] – فيما يتعلق بمحادثات لآفال في روما دون إدوارد هيروت Edward Herriot زعيم الجبهة الإشتراكية الفرنسية وعضو مجلس الوزراء الفرنسي في الفترة 1934 إلى 1935في مذكراته ليوم 15 نوفمبر 1934 :-

أن بيير لآفال اطلع مجلس الوزراء على التعليمات التي ينوي إرسالها لسفير فرنسا لدى إيطاليا فيما يتعلق بأجندة المحادثات المزمعة بينه وبين موسليني وتضمنت الآتي :-

1/ مشروع إتفاق للتشاور بين الجانبين في حالة قيام ألمانيا بالتحلل من القيود المفروضة عليها بموجب معاهدة فيرساي فيما يتعلق بنزع سلاحها .

2/ مشروع لإتفاق عام بعدم التدخل في شئون النمسا الداخلية .

3/ مشروع إتفاق للتعاون الإقتصادي بين دول وسط أوربا .

فيما يتعلق بأفريقيا فقد أطلع لآفال مجلس الوزراء الفرنسي قبل القيام برحلته إلى أوربا بأن الإيطاليين يطالبون بأن تتخلى فرنسا لهم عن مستعمراتها في الساحل الصومالي فيما عدا جيبوتي . علق هيروت في مذكراته على ذلك بقوله : " في الواقع يبدو محتملاً أن تكتفي إيطاليا بأقل من ذلك – أنها ترغب في المقام الأول في السيطرة على خط السكك الحديدي والذي توجد بشأنه إتفاقية عقدت في عام 1906 . ولكن

الخطر الذي ظل قائماً منذ ذلك الوقت هو موضوع إســـتقلال أثيوبيـــا ، إذا أمكـــن التوصل إلى إتفاق بشأن هذا الموضوع فإنه يمكن التوصل إلى إصدار إعلان صداقة بـــين الدولتين تلتزمان بموجبه بالدفاع عن مصالحهما العامة دون حاجة إلى توقيـــع معـــاهدة تحالف بينهما " (22) .

عند وصول بير لآفال إلى روما في الخامس من يناير عـــام 1935 ، كـــانت التطورات الأوربية المتسارعة قد هيأت فرصة مناسبة للتوصل إلى تفاهم بين الجـــانبين . كانت الخلافات بين الجانبين فيما يتعلق بتونس والحدود بين المســـتعمرة الإيطاليـــة في أريتريا وساحل الصومال الفرنسي من المشاكل المهمة الـــتي حـــالت في المـــاضي دون الطرفين والوصول إلى تفاهم بينهما . غير أن الموضوع الذي كان يشغل بال موســـليني في المقام الأول هو موضوع أثيوبيا . كان هناك إعتقاد سائد في أوساط ساسة إيطاليـــا من الفاشيين وغيرهم منذ هزيمة إيطاليا المزلة في عدوة عام 1896 فحـــواه أن بريطانيـــا وفرنسا قد تآمرتا على نحو ما مع أثيوبيا لمنع إيطاليا من تحقيق طموحـــها في الســـيطرة على أثيوبيا . وقد ركز موسليني بالفعل في محادثاته مع لآفال على موضـــوع أثيوبيـــا مرجئا موضوع الساحل الصومالي الفرنسي لفرصة أخرى ، ربما .

تمخضت المحادثات بين موسليني ولآفال التي جرت في الفترة من الخـــامس إلى السابع من يناير 1935 م عن ثماني اتفاقيات أربع منها أعلنت بعد إنتـــهاء المحادثـــات مباشرة واشتملت على :

1/ إعلان مشترك ذو طبيعة عامة للتعاون بين الدولتين .

2/ اتفاق حول تنظيم المصالح الإيطالية الفرنسية في أفريقيا .

3/ برتوكولا خاصا يعالج وضع الأقلية الإيطالية في تونس .

4/ اتفاق عام بين الدولتين من أجل العمل على التوصل إلى اتفاق أوربي تشارك فيـــه كل الدول الأوربية التي تجمعها حدود مشتركة مع النمسا .

كذلك توصل الجانبان إلى أربع اتفاقيات أخرى ثلاث منها متصلة بالقرن الأفريقي والرابعة مشروعاً لتحالف بين البلدين ضد ألمانيا في أوربا . وقد ظلت هذه الإتفاقيات سرية حتى عام 1945 . واشتملت الاتفاقيات الخاصة بالقرن الأفريقي على :-

1/ بروتكولاً لحماية حرية المرور في مضيق باب المندب في مدخل البحر الأحمر.

2/ خطابين متبادلين - يشكلان كما إتضح فيما بعد ، في جوهرهما ما يمكن أن يعتبر تنازلاً فرنسياً عن مصالح فرنسا في أثيوبيا .

3/ إتفاق حول منح الشركات الإيطالية 2,500 سهم من أسهم خط سكك حديد جيبوتي أديس أببا .

وتوسيع تمثيل إيطاليا في مجلس إدارة الشركة (23) .

صياغة الخطابين المتبادلين لا توضح الطبيعة الكاملة لمضمونهما وحتى بعد أن كشف النقاب عنهما لم يلتفت الباحثون إلى أهميتهما .

في عام 1945 وفي المحاكمة التي أقيمت لقادة حكومة فيشي ومن بينهم بيير لآفال والمارشال بيتان Petain (24) قلل لآفال ومعاونوه من شأن الاتفاقيات التي توصل إليها مع موسليني في عام 1935 .

السؤال الذي ظل بلا إجابة حتى بعد أن تم الكشف عن الوثائق السرية لمحادثات موسليني لآفال هو :

إلى أي مدى كان بيير لآفال على علم بخطة موسليني لغزو أثيوبيا ؟ وهل أوحى لآفال صراحة أو ضمناً لموسليني بالموافقة على تلك الخطة ؟ .

سجل أنتوني إيدن Anthony Eden في مذكراته بأن لآفال ذكر له حين التقاه في جنيف في عام 1935 عقب محادثاته مع موسليني بأن فرنسا قد وافقت فقط على منح إيطاليا حرية التصرف في المجالات الاقتصادية في أثيوبيا ، وأنه أوضح لموسليني بجلاء بأن تفهم فرنسا لخطط إيطاليا في أثيوبيا مقصوراً فقط على الشئون الاقتصادية (25)

في محاكمته بعد الحرب العالمية الثانية كرر لآفال الرواية وأضاف إليـــها بأنـــه حذر موسليني بألا يستغل اليد الحرة التي منحته لها فرنسا باللجوء إلى القوة في أثيوبيـا (26).

الكونت شامبرون Chammburn ، الذي شارك في المحادثات بـين موســـليني ولآفال كسفير لفرنسا في روما يلقي بعض الضوء على مضمون المحادثـــات في الســرد المفصل الذي أورده في مذكراته . جاء في مذكرات شامبرون أن المحادثات المباشرة بـين موسليني ولآفال تمت في الخامس والسادس من يناير 1935 . في اليـوم الأول حسـب رواية شامبرون : أصر لآفال منذ البداية على أن تقدم إيطاليا تنازلات حقيقية لفرنســا في تونس .

وقد أظهر موسليني استعدادا طيباً في الإستجابة لرغبة لآفال . أما فيما يتعلـق بأثيوبيا ، يورد شامبرون أن موسليني قد أشار إلى أنه يسعى فقط للحصول على منفــذ للنشاط الإقتصادي الإيطالي فيها . اليوم الثاني للمحادثات حسب رواية شامبرون أفـرد لمناقشة مسودة الإتفاقيات المشتركة ، ودار خلالها نقاش حاد بين لآفـــال وسوفتشـي Sovichi لم يشارك فيه موسليني (27) .

رواية شامبرون إذن تؤيد ما ذهب إليه لآفال . إلى أي مدى تمثل هذه الروايات حقيقـة ما دار بين موسليني ولآفال ؟

بعد الدراسة المتأنية الفاحصة لعدد من الوثائق والإفادات يمكن أن نخلـــص إلى أن جوهر ما دار بين لآفال وموسليني هو موافقة لآفال على مقايضة مصــــالح فرنســا ونفوذها في أثيوبيا مقابل وعود موسليني بالتعاون مع فرنسا ضد ألمانيــــا في أوربــا ، الشواهد على ذلك هي :-

من الواضح أن اتفاق موسليني – لآفال قد حسم أي تردد لموسليني فيما يتعلـق بتنفيذ خطة غزو أثيوبيا . سجل اليوسيسي في مذكراته بتاريخ 23 ينـــاير 1935 أن : " أهمية هذا اليوم تكمن في القرار الذي إتخذه الديوس بخصوص أثيوبيا والذي يبدو أنـــه

غير قابل للتغيير وعلينا أن نشرع في تنفيذه . لذلك عقدت إجتماعا مـع سوفتشـي " للنظر " في مشروع الديوس . إنه في رأي قرار يضع مستقبل النظام " الفاشي في الكفـة " (28) .

إن مما يؤكد أن هدف موسليني في أثيوبيا أصبح بعد لقائه بلآفال هو الاستيلاء على أثيوبيا بكاملها وليس تحقيق مصالح اقتصادية فيها ،هو أن الدبلوماسية الإيطاليـة تحركت بعد لقاء موسليني لآفال بستة أيام فقط ، لدعوة الحكومة البريطانية — " لتبـادل الأفكار " حول مصالح الدولتين المشتركة في أثيوبيا . وقد علقت الخارجية البريطانيـة على هذه الدعوة بأن " هدف إيطاليا النهائي ليس هو فقط الهيمنة الإقتصاديـة علـى أثيوبيا وإنما ضم أي جزء منها تشعر إيطاليا بإمكانية ضمها له " (29) .

في لقائه مع أنطوني إيدن Anthony Eden ، وزير الدولة البريطاني لشـئون عصبة الأمم آنئذ ، حينما زار روما ليعرض على موسليني إنشـاء محميـة إيطاليـة في المناطق الجنوبية غير الأمهرية من أثيوبيا في مقابل وصل أثيوبيا بالبحر عـبر الصومـال البريطاني ، ذكر موسليني لإيدن ، حسبما جاء في مذكرات أنطوني إيدن ، أنه تخلـى لفرنسا عن مائة ألف إيطالي في تونس وحصل في المقابل على نصف دستة من الأشـجار في مكان وشريط صحراوي ليس به حيوان في مكان آخر ، كان من الطبيعي أن يفـهم أن فرنسا قد رفعت يدها عن مصالحها في أثيوبيا (30) .

من جانب آخر ، حينما قدم لآفال الإتفاقيات التي توصل إليها مع موسليني إلى مجلس الوزراء الفرنسي في 10 يناير 1935 ، عبر مجلس الـوزراء ، حسـبما جـاء في مذكرات هيروت ، عن قلقه إزاء الإتفاقية الخاصة بأثيوبيا ، ثم دون هيروت في مذكراته بعد يومين أي في 12 يناير 1935 " إننا نتخلى عن أثيوبيا التي قدمنا إلى عصبة الأمم . " (31) .

كذلك عبر أليكس ليغر A . Leger وكيل وزارة الخارجية الفرنسية آنـذاك ، في مذكراته عن ميله للإعتقاد بأن لآفال قد أعطى موسليني نوعا مـن الموافقـة علـى

مخططاته في القرن الأفريقي ، " رغم تأكيد شامبرون ، الذي شارك في المحادثات علـــى أن الرجلين لم ينفردا أبداً ليتوصلا إلى إتفاق سري بينهما " (32) .

أوضح الشواهد الوثائقية عن المقايضة التي تمت بين موسليني ولآفال وردت في تقريـــر وزارة الخارجية الإيطالية السري في نهاية عام 1935 – أي بعد غزو أثيوبيـــا وقـــد إحتوى التقرير على ملخص للتطورات السياسية في عام 1935 .

يقول التقرير عن محادثات موسليني لآفال : " كان مصير أثيوبيا ومصير كـــل المواقع الفرنسية في شرق أفريقيا قد حسم تقريباً بنهاية محادثات موسليني لآفال في رومـا – حسبما جاء في الخطابات المتبادلة في يناير وتأكيدات لآفال الشفوية إلتزمت الحكومة الفرنسية بإطلاق يد إيطاليا لتحقيق متطلباتها التوسعية في شرق أفريقيا وتســوية كـل مشاكلها مع الحكومة الأثيوبية بصورة نهائية " (33) .

النقطة المحورية في هذا التقرير هي جملة " التأكيدات الشفوية " التي تؤكد بـأن قرار موسليني بغزو أثيوبيا لم يتخذ إلا بعد أن حصل على تأكيدات من لآفـــال فيمـــا يتعلق بموقف فرنسا .

كان لآفال مدركاً لقيمة تأييد إيطاليا لبلاده ضد ألمانيا في أوربا و لم يكـــن إزاء ذلك قادراً على الاعتراض على خطط موسليني في أثيوبيا . كان لآفال فيما يبدو مـهتماً في المقام الأول بالحصول على حليف مثل إيطاليا في أوربا ، وكان مهتماً بإنهاء التنـافس والصراع الفرنسي الإيطالي في البحر المتوسط والبلقان وهو الصـــراع الـــذي كـــان استمراره يعني ابتعاد فرنسا وإيطاليا عن أي عمل مشترك ضد ألمانيا في أوربـــا . لقـــد إتسمت رؤية لآفال هذه بقصر نظر كان يشكل سمة غالبة في فهم زعماء دول الحلفـــاء لأهداف السياسة الإيطالية .

اتفاقات لآفال – موسليني تشكل عودة إلى أسلوب دبلوماسية المقايضة الـــتي سادت في علاقات الدول الأوربية في القرن التاسع عشر . كان تخلـــي فرنســـا عـــن

مصالحها في أثيوبيا يعني ببساطة مقايضة تلك المصالح بتأييد إيطاليا لفرنسا ضد ألمانيـا في أوربا الأمر الذي لم يتحقق .

وأخيراً تشكل نتائج الاتفاقيات الفرنسية الإيطالية في يناير 1935 عــودة إلى الأساليب الإستعمارية التي سادت إبان فترة التكالب الاستعماري في نهاية القرن التاسـع عشر حيث كان مصير الشعوب والدول يتقرر في دهاليز وزارات الخارجية الأوربيــة دون اعتبار لقواعد التعامل المتحضر بين الأمم . وهــي تعكــس المســتوى المتــدني لأخلاقيات الدبلوماسية الأوربية التي عادت لأساليب بسمارك ونابليون الثالث .

الهـــوامـــش

Watt , D . C., **Personality and Policies**, London, 1985, p. 112. /1

2/ المقصود بالترضية أو الـــ Appeasement هو شراء رضاء الخصم بتقديم التنازلات له . وقد ارتبطـــــت هذه السياسة برئيس الوزراء البريطاني نيفل شمبرلين Neville Chamberlain (1937 – 1940) .

3/ أ نظر مثلا :

Greenville, J. A. S.: **A world History of the Twertieth Century, Volume one, 1900 – 45. Western Dominance**, William Collins, 1981.

4/ Marcus, Harold, G. **The life and Times of Menelik II**, Ethiopia **1844 – 1913**, Clarendon Press, Oxford, 1975. p p 45 – 46.

5/ Marcus, Harold, The **life and Times of Menelik II**, p. 45.

6/ Marcus, Harold, G., **The Life and Times of Menelik II**, p.45.

7/ Robenson Sven," Adwa 1896: The Resounding Protest " in **Protest and Power in Black Africa, Ed** .by Rolberg, Robert I., and Mazrui, Ali.

8/ Robenson, Sven, **"Adwa 1896:The Resoundig Protest".**

9/ Marcus , Harold , G . , **The life and Times of Menelik II,** p.86.

10/ Marcus, Harold. G.**, The Life and Times of Menelik II** , and Rubenson, Sven,**"Adwa 1896: The Resounding Protest".**

11/ **British Foreign and State Papers** , XCIV, 486-9, henceforward, BFSP.

أنظر أيضا :

British Documents on the Origins of the War, 1898-1914, Vol . VIII, No. 9

12/ Shirer, W.L., **The Collapse of the Third Republic**. Pan, 1970.

Rothwell, V.H., **British War Aims and Peace Diplomacy** ,ر, Oxford, 1971.

Marks. S., **The Illusion of Peace, International Relations in Europe 19918-33, Macmillan**, 1986.

أنظر :

13/ De Felice, R., **Interpretation of Fascism**, Harvard, 1977.

أنظر:

14/ Taylor, A, J.P., **The Origins of the Second World War,** 2nd.ed., Penguin, 1973.

15/ Grenville, J.A.S., **A world History of the Twentieth Century**, p.902.

16/ Grenville, J.A.S., **A World History of the Twentieth Century**, p.45.

17/ Taylor, A.J.P., **The Origin of the Second World War**.

18/ F.O. **371/24732**, **F.O. Memorandum**, 1934.

19/ Baron Pompeo Alsoisi, **Journal** (ed.) Mario Toscano, Paris, 1957.
20/ Baron Pompeo Alsoisi**, journal**.

21/ BFSP, XCIV.

أنظر :

22/ Edourad Herriot, Jadis, II, Paris, 1952.

نص الاتفاق الثلاثي بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا الموقع في 13 ديسمبر عام 1906 في :
BFSP. XC1V, pp. 486 – 9
وقد ألزمت معاهدة عام 1908 الحكومة الأثيوبية بإبقاء الطريق إلـــى جيبوتـــي مفتوحاً للتجارة وأن تسمح للرعايا الفرنسيين بحرية التجارة والخدمة في الدولة الأثيوبية . نص المعاهدة في :
BFSP, C, 1, 997 – 1000

نص الإعلان في :
23/ **Documents on German Foreign Policy, 1918-1945**, Series C, I, editors note, pp.18-20.

لشهادة المسيو لآفال أنظر :
24/ Le Proc 'er Petain, ed. C., London, Lyon, n.d., 19766, p.39.

25/:تقرير أنطوني إيدن ، مأخوذ من
Viscount Templewood, **Nine Troubled Years**, London 1953 111, pp.155-6.

26/ Le Proc'er Petain, ed. G., London, Lyon. n.d., 1976, p439.

27/ Charles de Chambrun, **Traditions et Souvenirs,** Paris, 1952, pp.192-7.

28/ Baron Pompeo Alsoisi, **Journal.**

29/ F.O. **371/2436** Comments by Alexander Cadlgen, Jan, , 1935.
30/ Avon, Lord, **The Eden Memoirs**, I, Facing the Dictators, Cassell, London, 1962.

31/ Edourad Herriot, **Jadis, II.**

32/ النصوص المهمة المشار إليها مأخوذة من مايكروفلم محفوظة الآن في دار الوثـــائق القوميـــة الأمريكيـــة American National Archives . وورد بعضها في :
William ,C. Askew, The Secret Agreement between France and Italy on Ethiopia, January 1935 **Journal of Modern History**, XXVI, March, 1953, pp.47-48.